Jean Lartéguy, **Les murailles d'Israël**, préface de Mosché Dayan (Editions Presses Pocket, Paris 1972).

صدر مؤخرا في باريس كتاب « أسوار اسرائيل » لجان لارتيغي ، مع مقدمة لموشي دايان ، وعنوان صغير : « اسرار الجيش الاكثر سرية في العالم ». يقع هذا الكتاب ذو الحجم الصغير في ٣١٧ صفحة؛ وهو من منشورات دار « برس بوكت » (باريس ١٩٧٢) . ويرمي واضع هذا الكتاب الى ان يحكي حكاية الجيش الاسرائيلي بأسلوب ادبي يجمع بين اشكال التعبير الصحفي (مقابلات عديدة) والتصوير الميداني (زيارات اماكن في الارض المحتلة) وبين النبوءات التاريخية السريعة ــ التبريرية غالبا . والكاتب يعزل موضوعه عن كل ابعاده الراهنة وعن كل مدارات الصراع في الوطن العربي ، ويحصر تفوق البنية العسكرية الخاصة بالمجتمع الاسرائيلي ، بالجانب النفساني المتفوق عند الجندي الاسرائيلي . جيش اسرائيل هو سورها وسرها : هذه هي الموضوعة الاساسية التي ينطلق منها الكاتب . ثم يبرهن انه لا يوجد سور ولا سر . اذن كيف يفسر الكاتب ظاهرة العسكرية الاسرائيلية وبماذا يبرر حروبها المتتالية وما قابلها من هزائم عربية ؟

لا بد من التوضيح ان كتاب « اسوار اسرائيل » يتبع المنطق العام للغزو الاسرائيلي ، والمهم فيه هو انه يحاول كشف مزايا الغزاة ، مع نقد جانبي لبعض مغالطاتهم . ويقارن هذه المزايا ، من وجهة نظر الاسرائيليين ، مع ما يقابلها عند العرب . ينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الاول من ١١ فصلا : كمين على نهر الاردن ، اعراس القدس ، النبي المسلح ، كومندوس نصف الليل ، الجيش المزق ، المراج ، كوكبة المدرعات ، جنرالات وكولونيلات اسرائيل ، المظليون امام حائط المبكى، صورة الجندي الاسرائيلي . والقسم الثاني يتألف من مقدمة وفصلين : الفلسطينيون ، وعزلة اسرائيل . ونحن سنحاول استعراض نظرة الاسرائيليين الى انفسهم بالذات .

١ ــ في المقدمة الصغيرة للكتاب ، يشيد دايان بـ « المزايا المعنوية » و « التضحية » التي يتصف بها جنوده ، ويركز على تكيف الجيش مع الاوضاع الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، (مدرعات مظليون ، طيران) . ويحدد مفهوم الدفاع الاسرائيلي بقوله : « ان اسرائيل ، منذ ١٩٤٨ ، لم تقم ابدا بحماية حدودها وراء شبكة من الاسلاك الشائكة او خلسق خط من التحصينات . ان الدفاع ... كان وسيبقى الهجوم ، الهجوم على العدو فوق أرضه بالذات » . ومرارا يؤكد دايان مبدأ « الهجوم الدائم » ، ولكنه يشير الى « الهوة بين القيم السائدة في الحياة المدنية وفي الحياة العسكرية » . ويذهب الى القول انه لا يوجد « اي تمييز طبقي » داخل الجيش ، اذ ان الضباط تعلموا ان لا يحاربوا وراء جنودهم ابدا ، بل ان يحاربوا امامهم دائما او قدر الامكان : « هذا هو سر قوة جيشنا » .

٢ ــ القسم الاول من الكتاب يضعه مؤلفه في حدود ايار ١٩٦٨ ، ويبدأ بالحديث عن كمين نصبته وحدة من المظليين الاسرائيليين للفدائيين على ضفة نهر الاردن . ويأخذ الكاتب برسم مزايا الجيش الاسرائيلي :

ــ قلة الكلام ، والانشغال الدائم بحل مشكلة « الانتصار الدائم » . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي لا يفسح له المجال ابدا بطرح مشكلات الوعي والوجدان او الضمير .

ــ الجندي الاسرائيلي يجب ان يعرف كل شيء يتعلق بالاوامر المعطاة له ، ولهذا بات قادرا على الحلول محل الضابط او نائب الضابط .

ــ الجندي الاسرائيلي يعيش نصف حياته في الحرب الدائمة ، ونصفها الاخر في افلام الكوي ــ بوي .

ــ الاسرائيلي يقتل بدون تردد وبكل بساطة وبرودة اعصاب .

ــ في الكمين الذي ينصبونه للفدائيين يقتلون ويجهزون ايضا على الجرحى ــ كمين ابادة .

ــ الجنود الاسرائيليون يفضلون سلاح الكلاشينكوف الهجومي على الرشاش « عوزي » .

ــ الضباط يسيرون دائما في المقدمة ، ولهذا كانت نسبة الضباط القتلى خلال حرب ١٩٦٧ حوالي ٣٠٪ من مجموع الخسائر الاسرائيلية .

ــ اذا كان الاسرائيليون يعرفون نقاط مرور الفدائيين ، فان الفدائيين يعرفون بدورهم كمائن المظليين ، واحيانا يلغمونها .